

## العنصر البشري بين النص والقارى: الإجازة في المخطوطات العربية

جان جاست ويتكام

الإجازة هي شهادة القراءة أو السماع التي ترد أحياناً إما في نهاية المخطوطة أو في صفحة العنوان وتخول من حاز عليها حق نقل النصوص أو التدريس أو إصدار الفتاوى. كما أنها بمثابة شهادة حضور لجلسات القراءة ولا يجوز الخلط بين إجازة التدريس وإجازة السماع التي ينبنى عليها تخويل نقل النص المقروء. وسوف ينصب اهتمامنا في هذا البحث على إجازة السماع، أي بروتوكولات جلسات القراءة التي كانت تضاف إلى النصوص، فتلك خاصة تمدنا بمعلومات وافرة عن دور العنصر البشري في نقل النصوص.

تمثل الإجازة عنصراً بارزاً في المخطوطات الإسلامية، إلى جانب أنها تصوّر لنا الدور الذي يلعبه المخطوط في بيئته العلمية والتعليمية والثقافية. إن دراسة الإجازات تزيد من معرفتنا بالعنصر البشري في استخدام النصوص والمخطوطات. ومن الهام من أجل التوصل إلى فهم أفضل للإجازة أن نكون على دراية بالعنصرين الفردي والشخصي في نقل العلوم الإسلامية. ومن هنا تعرضنا لهذا الموضوع على نحو موجز فيما يلي يأتي بعده اقتراح بمشروع لجمع إجازات السماع في المخطوطات العربية وتحليلها.<sup>(١)</sup>

## النهج الشخصي والاستمرارية في العلوم الإسلامية

غالباً ما يقال إنه لا يوجد تراتب وظيفي في الإسلام على غرار ما هو قائم في الكنيسة المسيحية. وبصورة عامة يمكننا اعتبار هذه المقولة صحيحة، إذ أنه لا يوجد في الإسلام بابا معصوم عن الخطأ ولا رجال دين يخضعون لهيكل وظيفي دقيق ومميز، أو يزعمون أنهم الوسيط بين الله والمؤمن أو يتظاهرون باحتكار العقيدة الدينية. غير أن ذلك كله لا يعني أن التنظيم معدوم كلياً في الإسلام إذ أن ديناميكية الاستمرارية في الإسلام قد تطورت في اتجاه مختلف. فالإسلام لا يعتبر وجود وسيط بين الله والإنسان أمراً ضرورياً كما أن علاقة المسلم مع الله هي علاقة مباشرة وشخصية لذا يتبع المسلم طريقاً مباشراً للحصول على تعاليم دينه.

وقد ولدت العلاقة الشخصية القائمة بين المعلم والتلميذ - عبر أجيال من العلماء - قوة دافعة تكفل استمرارية هذه العلاقة. وقد ظهرت مع مرور الزمن العديد من أنماط الآداب الإسلامية التي تعكس أهمية هذه العلاقة. وبدأ ذلك على نحو مبكر بظهور الحديث. فالإسناد الذي يسبق كل حديث يوازي من حيث الأهمية محتوى الحديث. وتجدر الإشارة إلى أن الأحاديث الأولى قد رتبت ليس وفقاً للموضوع الذي تعالجه بل حسب المسند. ويمثل علم الرجال أي الرواة، نصف علم الحديث. ولا يكون الحديث صحيحاً إلا إذا ثبتته مجموعة من الرواة الموثوقين، وبدون ذلك يبقى الحديث ناقصاً. هكذا كان موقف العلماء المسلمين الأوائل إزاء الحديث. وقد تم تدوين نصوص الحديث وأسماء الرواة لأسباب عملية رغم أن النموذج القديم كان يقضي بنشر المعرفة الدينية عن الطريق الشفاهي. ويمكن أن يفسر الإسناد بأنه بروتوكول لسلسلة من الأحداث واللقاءات التي تم من خلالها نقل العلم. ومما يجدر ذكره أن الحديث المدون هو فقط أحد أبعاد الحديث وأن دور العامل البشري في نقل المعرفة واستمراريتها لا يقل أهمية عن الرسالة المسجلة نفسها. والقول المأثور «إن العلم في الصدور لا في السطور» يلخص بوضوح هذه الفكرة.<sup>(٢)</sup>

وقد حال الانتشار السريع للدين الإسلامي والتشعب الهائل للعلوم دون بقاء النقل الشفهي الوسيلة الوحيدة لنقل المعرفة. وكان من الضروري تدوين الوحي الإلهي إذ كان حفظه الوحي الأوائل يتساقطون في معارك الفتوحات.

كما تم في وقت لاحق تدوين نصوص الحديث والنصوص التاريخية. وكان الرواة في بادئ الأمر يدونون هذه النصوص في سجلاتهم الشخصية المختلفة<sup>(٣)</sup> وفي وقت لاحق دونت هذه النصوص في تصنيفات منظمة تستهدف جمهوراً أوسع. ورغم أن الكتب قد اعتبرت في نهاية المطاف الوسيلة الطبيعية لنقل المعرفة إلا أن الأسلوب الشخصي والفردى في تحصيل العلم بقي كما هو دون أن يطرأ عليه تغيير. وكما نلاحظ في عصرنا هذا فإن مجرد قراءة كتاب ما لا تعتبر كافية لاستيعاب محتوياته لهذا كان يقرأ الكتاب في العصور القديمة بمساعدة من معلم يحسن أن يكون هو مؤلف الكتاب نفسه، فإنه لم يكن، فعلى يد جهبذ يحظى بالاحترام ويعتبر مرجعاً موثقاً. وعلاوة على ما تقدم، لم تكن القراءة أو الدراسة عملاً فردياً بل نشاطاً اجتماعياً كما سنرى فيما بعد. أدى النهج الفردي والشخصي إلى ظهور أدب السيرة في الإسلام. ولم يكن هذا النمط الأدبي جديداً إذ نجد في العصور الكلاسيكية القديمة أن كتاب «حيوات متوازية» لبلوتارك قد انطوى على أغراض تاريخية وتعليمية وأخلاقية وإيديولوجية.

وكان لبعض أدب السيرة الإسلامي هدف مشابه إلا أنه اشتمل أيضاً على بعد إضافي إذ نما وتطور علم الرجال ليصبح أسلوباً نقدياً لتقييم المكانة العلمية للرواة. كما عنيت الكثير من كتب السيرة بوصف حلقات العلماء وتسجيل سلاسل الرواة ومثال ذلك كتاب «تهذيب التهذيب»<sup>(٤)</sup> لابن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ/١٤٤٩م. وهذا الكتاب عبارة عن معجم لسير رواة الحديث الموثوقين. وتتألف كل سيرة من ثلاثة أجزاء. يتناول الجزء الأول الاسم الكامل لصاحب السيرة وبعض التفاصيل الشخصية الأخرى. ثم يتلو ذلك سجل بأسماء المحدثين الذين استند إليهم في نقل الحديث، ثم أسماء أولئك الذين جاؤا بعده واستندوا إليه في نقل الحديث. ويتضح مما تقدم أن معجم ابن حجر قد كرس كلياً للرواة. وقد اتبعت السير الأخرى بما فيه تلك التي لم تُعنى حصراً بالمحدثين نهجاً مشابهاً في تقديم أصحاب السير.

### الأنواع الأدبية ذات الطبيعة الفردية والشخصية

ظهرت أنواع أخرى من الأدب الفردي والشخصي. وعلم الفهرسة<sup>(٥)</sup> الذي نما وتطور في الأندلس وبلدان المغرب هو مثال على ذلك، وهو عبارة عن

سيرة ذاتية علمية يعدد فيها العالم الشيوخ الذين تتلمذ عليهم والأعمال التي قرأها عليهم، ثم كان هناك الثبوت وهو قائمة يعدها المحدث ويسرد فيها أسماء الشيوخ الذين عرفهم ومدى نقله بالاستناد إليهم. أما في الرحلة فنلاحظ أن اهتمام المؤلف ينتقل من الجغرافيا والاثنوغرافيا، في المرحلة القديمة، إلى العلاقات الشخصية بين العلماء. وقد اتسع نطاق الرحلة فيما بعد حيث أخذ المؤلف يعدد أسماء العلماء الذين قابلهم وما تعلمه منهم والإجازات التي حصل عليها أثناء سفره. ولم يكن الهدف من السفر السياحة بل طلب العلم والحج إلى مكة<sup>(٦)</sup> وثمة نوع آخر من النصوص يمكن تسميته بسلاسل النسب الروحية أو الدراسية للعلماء<sup>(٧)</sup> أما البرنامج<sup>(٨)</sup> والمشخة فهما وظيفة تشبه إلى حد بعيد وظيفة الفهرسة وهما يشتملان في بعض الأحيان على تفاصيل خاصة بالسفر وطلب العلم على غرار الرحلة. ولعل أحد أبرز أنواع مصنفات السيرة الذاتية هو ذلك القائم على وصف طبقات العلماء، والذي يقوم بإحصاء الأجيال المتتالية للعلماء العاملين في حقل بعينه. وقد نتج عن هذا التناول جيلاً بجيل لطبقات العلماء المحافظة على أسباب التواصل في تاريخ العلوم سواء داخل جيل بعينه أو عبر سلسلة من الأجيال. وفي العصور المتأخرة خاصة كانت تلك الإحصاءات تقوم بمثابة سيرة ذاتية علمية. أحياناً كان الاهتمام ينصب على ما قرىء من نصوص على الشيوخ كما في البرنامج، وأحياناً أخرى كان الشيوخ أنفسهم يصبحون محور الاهتمام كما في المشخة.

وغالباً ما كان يقوم صاحب السيرة نفسه بتصنيف النصوص وكتابتها بضمير المتكلم، وإن كان ضمير الغائب يستخدم أيضاً. وعندما كان أشخاص آخرون يقومون بإعداد قوائم بالمواضيع التي درست أو الثقات الذين التقى بهم شيخهم، كانت القائمة تبدأ بعبارته «التعريف بـ» يتبعها اسم العالم المعني. ونفس الشيء ينطبق في الترجمة حيث يبدأ النص بعبارته «التعريف بـ» يتبعها اسم المترجم له. وثمة أيضاً عناوين من قبيل: «السند المتصل إلى» يتبعها اسم أحد أوائل الرواة، أما التصنيفات التي تحوي كلمة «أسانيد» في العنوان فلها هدف مشابه لما سلف ذكره، وهو أنها تبين أسانيد عالم ما وصلته بكار الأئمة الذين عاشوا في عصر سابق. وقد بدأت تظهر في مرحلة جد متأخرة، لعلها في القرن ١٢هـ/١٨م، كتيبات منفصلة تشتمل عناوينها على كلمة «إجازة». ويبدو للوهلة الأولى أن هذه الكتيبات تندرج في قائمة الإجازات الدراسية وليس في عداد شهادات القراءة. على أنه ثمة علاقة بين هذين النوعين لأن الشهادات المتأخرة

كثيراً ما كانت تشتمل على أسماء سلسلة من العلماء السابقين غالباً ما تنتهي باسم النبي محمد في بدايتها واسم طالب العلم صاحب الكتيب/الإجازة في ختامها. وكانت تلك الإجازات تزخرف بإتقان وتكتب بخط منمق وأسلوب متأنق وبإمكاننا أن نعتبرها ممثلة لآخر مرحلة في تطور الإجازات وهي المرحلة التي بلغت فيها الذروة في إخراجها الفني. وقد تحولت الإجازة إلى نوع أدبي مستقل بفضل هذه الكتيبات.<sup>(٩)</sup>

وثمة نوع أدبي آخر نشأ عن هذه الممارسات وهو ما يعرف بالجزء، وهو نص قصير لا يجاوز الرزمة الواحدة عادة، ويبلغ من صغر حجمه أن يسهل حمله. ولعله كان يحدث أن جزءاً صغيراً من أعمال أحد الشيوخ تجري قراءته وشرحه في جلسة تمنح في نهايتها الإجازة. وفي تلك الحالة يكون لدى المانح خياران، فقد يمنح تلميذه أو طالب العلم الزائر حق نقل كتاب كامل له أو حق نقل مروياته، أو ما تلقاه هو نفسه شفاهة «المسموعات» أو تلك الأعمال التي حاز هو نفسه إجازات فيها، وهو ما يعرف بالمستجازات، أو أياً من أعماله الأخرى حتى وإن كان قد قرىء قسم منها فقط أو لم تُقرأ على الإطلاق. وكانت تلك الإجازات العامة واسعة الانتشار.

أما الخيار الآخر فكان يتمثل في تحويل التلميذ أن ينسخ نسخاً مستقلاً ذلك النص القصير أو نخبه المرويات التي تلقاها عن أستاذه. وكانت تلك النخبة من حصيلة علم شيخ من الشيوخ تعرف غالباً بالجزء.<sup>(١٠)</sup> وفي بعض الأحيان كانت الأجزاء تحظى بوصف أكثر تفصيلاً وتحمل عنواناً أفصح مفرزاً.<sup>(١١)</sup>

وحين كان أحد التلاميذ يحظى بثقة شيخه، فربما قام هذا الأخير بمنحه حق نقل كل أعماله حتى وإن لم يكن قد تلقى شرحها على يديه. وفي مثل تلك الحالات فإن الإجازة قد تحوي ذكر كل أعمال الشيخ أو غالبيتها وتصبح بذلك بمثابة سيرة ذاتية. والجدير بالملاحظة أن قوائم عناوين الكتب المشتملة في الإجازات أو في المخطوطات عامة لم تحظ بالدراسة بعد.<sup>(١٢)</sup> وثمة المزيد من الأعمال ذات العناوين الأكثر أناقة تؤدي نفس الوظيفة، أي تقييم أعمال شيخ من الشيوخ وإثباتها، والظاهر أن ثمة عدداً لا حصر له من هذا النوع من الكتب، والقاسم المشترك الأعظم بينها هو حرصها على إحصاء الشيوخ الذين زيروا والكتب التي درست والإجازات التي نيلت. وفي هذا السياق يمكن تعريف الإجازة بأنها ختام لقاء بين عالين تشتمل في الوقت ذاته على ثبت بالعلماء

السابقين عليهما. وبموجب هذه الإجازة يُحوّل الحاصل عليها حق النقل أو التدريس لبعض أعمال الشيخ المانع لها أو لجمل تلك الأعمال. وليست هذه العملية بمختلفة عن الشهادات النهائية التي يحصل عليها طلاب الجامعات في عصرنا الحالي، إنما يكمن الفارق في كون الإجازات القديمة تعبيراً عن علاقة بين شخصين وليس بين طالب وبين مؤسسة تعليمية.

ولعله يجدر بنا أن نلاحظ في الختام أن الترتيب الألفبائي للمادة المتعلقة بالترجمات في كتاب ابن حجر «تهذيب التهذيب» قد اشتمل على كل ما سبقه من تطورات. ولا شك أن مثل هذا الترتيب كان يمثل الإجراء التنظيمي الأوحّد الكفيل بمعالجة المادة المتنامية، وذلك على الرغم من أننا نعثر أحياناً على أوجه قصور من الناحية الجغرافية أو من ناحية التسلسل التاريخي في معاجم التراجم المرتبة ألفبائياً.

### علم المخطوطات والإجازة في المخطوطات العربية

ما علاقة كل ما تقدم إذن بالمخطوطات، ولا سيما بعلم المخطوطات؟ يُعرف علم المخطوطات في بعض الأحيان بأنه الدراسة المختصة بتناول جميع جوانب المخطوطة باستثناء محتواها. كما يُوصف بأنه ذلك العلم الذي يركز كلياً على الخصائص المادية للكتاب المخطوط باليد. وهذه تعاريف مفيدة إلا أنها مسرفة في التبسيط إذ غالباً ما نتعلم من مجلد المخطوطة ما يفوق ما نتعلمه من الجوانب اللغوية للنص إلا أنه لا يجوز لنا أن نقيم مثل هذا التمييز الشكلي بين نص بغير وجود فيزيائي وبين مخطوطة ذات وجود مادي صرف، أي أن نقارن بين روح النص وجسده إذا جاز التعبير. فهناك تفاعل دائم بين الجانبين الروحي والمادي لكل مخطوطة. ويتجلى ذلك بوضوح في الآثار المتنوعة والكثيرة التي نعثر عليها في المخطوطات والتي تشير بوضوح إلى الاستعمال الشخصي. وتجدر الإشارة أن كل مخطوطة هي قطعة فنية صنعها فرد ما وأنها تنطوي على معلومات صريحة وفي بعض الأحيان ضمنية عن صانع المخطوطة أو مستعملها أو كليهما، وتعطينا خصائص المخطوطات المختلفة مثل بيانات الصفحة الأخيرة وشعار الناسخ وعلامة المالك وشهادات القراء فكرة عن وظيفة نص ما بصورة عامة وكيفية استخدام المخطوطة بصورة خاصة. لذا فإن دراسة هذه الخصائص التي تنتمي إلى علم المخطوطات تعطي النص بعداً

إضافياً وتضعه في إطاره الحضاري. ونحن نعتقد أنه فقط باعتماد مثل هذا النهج الشامل والمتكامل - عند تناول المخطوطات - نكون قادرين على إعطاء خصائص المخطوطات حقها من حيث علاقتها بعضها ببعض الآخر. هذا هو فقه اللغة في أوسع معانيه بما يشمل جميع الجوانب السالفة الذكر علاوة على دراسته للتفاعل بين نص ما والبيئة التي انبثقت عنها.

ونعثر أحياناً على الإجازة أو على نسخ منها في المخطوطات،<sup>(١٣)</sup> حيث تكون ملحقة بنهاية النص أو مسجلة على صفحة العنوان التي تسبق النص الذي تتعلق الإجازة به. وفي بعض الأحيان لا يتجاوز نص الإجازة بضعة أسطر بينما يكون مسهباً في أحيان أخرى. وقد يجمع النص بين الإجازة وبين شهادات القراءة على أن إضافة الإجازة إلى النص هو تقليد قديم في المخطوطات العربية بقي قيد الاستعمال لعدة قرون. وعندما تلقى نظرة على المخطوطات التي سجلت فيها الإجازات فأنها تعطينا فكرة عن كيفية تطبيق نظام إجازات التعليم. وعلاوة على ما تقدم فإن الإجازة تكشف الكثير عن طريقة استخدام النص أو المخطوطة. ومما يدعو إلى الاستغراب أنه ليس ثمة بعد أية محاولات منهجية لجمع البيانات الموجودة في إجازات المخطوطات العربية.<sup>(١٤)</sup> إن جمع هذه النصوص وتحليل محتوياتها وأساليب صياغتها لهو أمر مرغوب وقد تأكدت الفائدة من جمع هذه النصوص باكتشاف الباحثين عبيد (Ebied) ويونغ (Young) أصل كلمة "بكالوريا". فمن خلال التدقيق في صياغة الإجازات في عدد من المخطوطات اكتشف الباحثان أن الكلمة الأكاديمية الأوروبية الشهيرة "بكالوريا" مستمدة من التعبير العربي "بحق الرواية".<sup>(١٥)</sup>

### أمثلة لبعض الإجازات الهامة

انبثقت الإجازة عن نظام التعليم الإسلامي الذي كانت تدرس من خلاله العلوم الدينية الإسلامية، إلا أنها لم تبق مقصورة على علوم الدين إذ نجد أن من أصل ٧٢ مخطوطة صنفها الباحث فاجدا (Vajda)، هناك ٥٩ مخطوطة ذات محتوى إسلامي تقليدي، أي فروع المعرفة الخاصة بمنهاج المدرسة بينما ثمة ١٣ مخطوطة ليس لموضوعها علاقة مباشرة بالدين إذ تتناول موضوعات في الطب والأدب والعلوم. وتعتبر هذه نسبة عالية نظراً لوجود عدد كبير من المخطوطات من الفئة الأولى. ويبين الجدول الجغرافي الذي وضعه فاجدا أن

دمشق والقاهرة هما مصدر معظم المخطوطات التي تحتوي على إجازات، وتأتي بعدهما، من حيث الغزارة في إصدار الإجازات، كل من بغداد ومكة وحلب، وغالبية الأماكن الأخرى التي كانت تُصدرُ الإجازات تقع في المشرق ويرجع ثمانون في المئة من الأعمال المذكورة إلى الفترة ما بين القرنين ٦-٩هـ/١٢-١٥م بتوزيع متكافئ على امتدادها.<sup>(١٦)</sup>

وتجدر الإشارة أن أبرز الإجازات ليست متضمنة في نص إسلامي علمي، بل في أشهر نصوص الأدب العربي وأكثرها احتراماً، وهو مقامات الحريري. ويتضح ذلك من مجموعة الإجازات التي عثر عليها في مخطوطة نسخة المقامات والتي استنسخت من نسخة الحريري الخاصة. ففي الأجازة الرئيسية والمعاصرة للمخطوطة نجد أسماء ٢٨ عالماً نعلم أن بعضهم كانوا من جهاء بغداد البارزين، ويذكر النص أنهم كانوا حاضرين أثناء قراءة المقامات برمتها التي استغرقت أكثر من شهر من الجلسات المتقطعة.<sup>(١٧)</sup> إن تحليل ماكيه (MacKay) الدقيق لهذا العدد الكبير من الإجازات قد ساهم في تكوين صورة عن حقبة من الحياة الثقافية في بغداد وحلب ودمشق امتدت زهاء القرنين. لقد بدأ الأمر في بغداد في سنة ٥٠٤هـ/١١١١م وذلك عندما أنجزت القراءة الأولى لنسخة المؤلف وقد تبع ذلك قراءات لاحقة في بغداد أيضاً. وبعد مضي ستين سنة أو نحوها على القراءة الأولى أصبحت المخطوطة مثقلة بشهادات السماع. ثم انقطعت أخبارها لمدة أربعين سنة وبعد ذلك انتقلت ملكيتها إلى المؤرخ الحلبي كمال الدين ابن العديم الذي توفي في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م. بقيت المخطوطة في حلب أكثر من ثلاثين سنة وهي تحمل أسماء العديد من أفراد أسر حلبيه بارزة حضروا جلسات السماع. وأخيراً نلاحظ أن المخطوطة تحمل شهادات جلسات السماع التي عقدت في دمشق خلال عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م. تختفي بعد ذلك هذه المخطوطة عن الأنظار وبعد ستة قرون وبالتحديد في عام ١٨٧٥م تحصل عليها دار الكتب المصرية حيث لا تزال موجودة.

وعندما تلقي نظرة على أسماء ما يزيد على مئتي شخص شاركوا في قراءتها والاستماع إليها نلاحظ أن الكثيرين من هؤلاء الأشخاص ينتمون إلى أسر تربط بينها القرابة. وخالصة لما تقدم يمكننا القول إن تاريخ نقل هذه المخطوطة قد واكب تاريخ أجيال من العلماء ورجال الأدب الذين انشغلوا بها.

إن أقدم الإجازات المعروفة هي تلك التي نجدها في مخطوطة فريدة من نوعها تحمل العنوان «الناسخ والمنسوخ في القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام الذي توفي عام ٢٢٣هـ/٨٣٧م.<sup>(١٨)</sup> في هذه المخطوطة نجد عملاً هو في صميم العلوم الإسلامية إذ أنه يتناول الآيات الناسخة والمنسوخة في القرآن الكريم. ويرجع تاريخ أول شهادة سماع في هذه المخطوطة إلى عام ٣٩٢هـ/١٠٠١م أما آخر شهادة فتاريخها هو ٥٨٧هـ/١١٩١م. ونلاحظ في إحدى شهادات السماع لهذه المخطوطة ذكر الجامع العتيق بمصر<sup>(١٩)</sup> كما تذكر أسماء أفراد من أسرة واحدة تشمل الأب وأبنائه وعدداً من إخوانه. وعلى غرار ما لمسناه في مخطوطة مقامات الحريري نجد في هذه المخطوطة أن نقل نص ما كان ينطوي على مناسبة اجتماعية أو عائلية، وفي كلتا الحالتين كان ثمة حضور للعامل الشخصي. وإذا ما قارنا بين الإجازات الواردة في آخر مخطوطة أبي عبيد «الناسخ والمنسوخ» الموجودة في إستانبول وبين قائمة الروايات المتضمنة في صفحة العنوان الخاصة بمخطوطة إستانبولية أخرى هي «كتاب المجالسة» لأبي بكر الدينوري،<sup>(٢٠)</sup> فإننا نكتشف ورود اسم شخص بعينه في المخطوطتين وهو أبو عبد الله بن حمد بن حامد بن مفرج بن غياث الأرتاجي، والذي لم يسمع به أحد في غير هذا السياق. فأما في مخطوطة أبي عبيد العتيقة «الناسخ والمنسوخ» فنجدنا ناشطاً في دور المسامع عام ٥٨٧هـ/١١٩١م، على حين نجد في نسخة «كتاب المجالسة» للدينوري الموضوع عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م أنه أحد رواة النص في الفترة السابقة على وضع المخطوطة. وهو ما يدل على فائدة جمع المعلومات الواردة في الإجازات والسماعات والروايات وما شابه ذلك حيث يكشف المثال الذي بين يدينا عن بداية تكوين شبكة علماء.

يمكن العثور على الإجازات التي منحها ابن الجواليقي (المتوفى عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م)، وكان من أبرز فقهاء اللغة ببغداد،<sup>(٢١)</sup> في عدد من المخطوطات مثل مخطوطة دبلن التي تتضمن صفحة العنوان فيها شهادة قراءة موقعة من ابن الجواليقي عام ٥١٤هـ/١١٢٠م<sup>(٢٢)</sup> ومخطوطة ليدن التي تحتوي على كتاب «لزوم ما لا يلزم» لأبي العلاء المعري من نسخ ابن الجواليقي قبل عام ٤٩٦هـ/١١٠٢م.<sup>(٢٣)</sup> ويمكن التعرف على خطه بسهولة كما يمكن تحديد تاريخ المخطوطة من شهادة بخط أستاذه وسلفه في المدرسة النظامية ببغداد الخطيب التبريزي (المتوفى عام ٥٠٢هـ/١١٠٨م).<sup>(٢٤)</sup> وتشتمل المخطوطة أيضاً على شهادة قراءة لأحد تلامذته، هو ابن الخشاب مؤرخة في ٥١٩هـ/١١٢٥م.

ثم تنتقل المخطوطة من بغداد إلى القاهرة ويتضح ذلك من ملاحظات المالك الجديد عالم النحو ابن النحاس (المتوفى عام ٦٩٨هـ/١٢٩٩م).<sup>(٢٥)</sup> وثمة مخطوطة أخرى في ليدن تشتمل على كتاب «الألفاظ» لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (المتوفى عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م) ونُسخت في عام ٥٥٢هـ/١١٢٨م<sup>(٢٦)</sup> وهي تحتوي في صفحة العنوان على شهادة قراءة بخط ابن الجواليقي. كما تضم المخطوطة شهادات "بلوغ" و"مقابلة" على نحو منتظم. ويمكن تحديد طول جلسات القراءة التي كانت تمتد كل منها ما بين ساعة وساعتين من هذه الشهادات. وثمة نسخة متأخرة (القرن ١١هـ/١٧م) لشهادة قراءة لابن الجواليقي يرجع تاريخها إلى صفر ١١٠٧/٥٠١ موجودة في مخطوطة بليدن MS Leiden Or. 403, F.430b تشتمل على ديوان أبي تمام مع شرح للخطيب التبريزي.<sup>(٢٧)</sup> والانتطباع الذي يخرج به من شهادات لابن الجواليقي هو أن عملية النقل بالنسبة له لم تكن مناسبة اجتماعية، كما في الحالات السابقة. إذ يبدو أنه كان يميل إلى مجالسة حلقة صغيرة من المريدين يدرس لهم النصوص الهامة في عصره - ونسخته من كتاب المعري «اللزوميات» هي خير دليل على صحة ذلك بما تقتصر عليه من ورود اسم أستاذه الخطيب التبريزي وحده بين اسمه واسم المؤلف.

### خلاصة واستشراف

تناولت فيما سبق موضوع الإجازة من ناحيتين، أولاهما ناحية التاريخ الثقافي، والثانية من جهة الاعتبارات الخاصة بعلم المخطوطات. وإنني أعتقد أن كلتا النظرتين ضرورية وأن كلا منهما تكمل الأخرى من خلال تفاعلهما المشترك. ويبين تاريخ الإجازة نفسه أنه لا يمكن عزل هذين الجانبين الواحد عن الآخر. فالإجازة مصدر هام لتاريخ شبكات الثقافة والدراسة، وهي تكفل لنا المعلومات المطلوبة لتكوين صورة متكاملة عن محيطها الثقافي الشامل.

وتستحق الإجازة باعتبار كونها فيما مضى آلية لنشر العلم أن تُدرس على نطاق أوسع بكثير مما تم حتى الآن. ويتعين على أمناء المكتبات أن يجمعوا إجازات المخطوطات الموجودة لديهم وينشروها. وينبغي أن لا يكون النشر مقصوراً على تحليل بيانات الشهادات كما فعل فاجدا وماكيه بل تتعدى ذلك لتشمل أيضاً نشر النسخة الكاملة للنصوص العربية. وعندئذ فقط يمكن أن يبدأ

تنفيذ أهم مشروع ألا وهو إعداد فهرس تراكمي للمادة البيوبليوغرافية الواردة في تلك الشهادات وسيكون هذا الفهرس بمثابة إضافة قيمة إلى المراجع البيوبليوغرافية المتوفرة حالياً. إن نشر عدد كبير من الإجازات لقمين أن يبسر لنا العلم بالمصطلحات الفنية المستخدمة، وهذا بدوره حري أن يعمق من معرفتنا بوظيفة الإجازة في المخطوطات العربية.

إن الحد الأدنى من متطلبات عملية النشر تلك يستلزم أولاً توفير النصوص الكاملة مع صور فوتوغرافية جيدة، لعدد كبير من الإجازات، وهو ما يشكل أساس المشروع. وفي المقام الثاني يلزم أن تشتمل عملية النشر على عدد من مستلزمات البحث مثل وصف موجز للمخطوطات المعنية، وفهرس بأسماء الأشخاص الضالعين في إصدار الإجازات ووظائفهم، وفهرس بالأماكن التي تتقلت بينها المخطوطات الحاوية للإجازات على مر الزمن، إلى جانب معجم بالمصطلحات الفنية المستخدمة.

غير أنني أعتقد أن مهمة دراسة الإجازات لن تكون مثمرة ما لم يكن الباحث على دراية بشروط الإجازات<sup>(٢٨)</sup> وبالبيئة الثقافية التي أفرزتها ولديه في نفس الوقت خبرة واسعة مكتسبة من العمل في ميدان المخطوطات. كما أعتقد أن محققي النصوص التي تشتمل على إجازات ليسوا هم دائماً أنسب الأشخاص للقيام بهذه المهمة رغم اختصاصاتهم اللغوية إذ أن هناك الكثير من النصوص المطبوعة التي إما تجاهلوا إجازاتها أو أساعوا فهم مضمونها. أما بالنسبة للمتخصصين في علم المخطوطات فإن الأمر مختلف إذ أن تدريبهم المهني قد عودهم على النظر فيما وراء نص المخطوطة. وفي إطار الجهود المبذولة لرفع المستوى المهني لعلم المخطوطات فإنني أعتقد أنه من الضروري أن تجمع الأعمال المرجعية من قبل إخصائين محترفين في علم المخطوطات.

## الحواشي

(١) لا يوجد كتاب مخصص لتناول «الإجازة» ولا نصوص بإجازات منشورة إلا أن هناك بعض المراجع المفيدة بهذا الشأن مثل: عبد الله فياض، «الإجازات العلمية عند المسلمين» بغداد ١٩٦٧. (يجري التركيز في هذا المرجع على الشيعة).

P. A. MacKay, *Certificates of Transmission on a Manuscript of the Maqāmāt of Ḥarīrī*, MS. Cairo, Adab 105, Transactions of the American Philosophical Society, New Series, LXI/4 (Philadelphia, 1971);

صلاح الدين المنجد، «إجازات السماع في المخطوطات القديمة» مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٥/١٣٧٥، ٢٢٢-٢٥١.

J. Pedersen, *The Arabic Book* (Princeton, 1984), esp. 31-4;

قاسم أحمد السامرائي، «الإجازات والتطورات التاريخية» عالم الكتب، ٢ (١٩٨١)، ٢٧٨-٢٨٥. ثمة أمثلة كثيرة على الإجازة يمكن العثور عليها في كتاب

A. J. Arberry, *A Handlist of the Arabic Manuscripts of the Chester Beatty Library* (8 vols., Dublin, 1955-66).

تناول جورج مقدسي استخدام الإجازة في نظام التعليم الإسلامي في كتابه:

George Makdisi, *The Rise of Colleges. Institutions of Learning in Islam and the West* (Edinburgh, 1981),

بينما يقدم جورج فاجدا تحليلاً لمحتوى عدد كبير من الإجازات التي وردت في ٧٢ مخطوطة:

Georges Vajda, *Les certificats de lecture et de transmission dans les manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Paris* (Paris, 1956).

أود أن أنتهز هذه الفرصة كي أتوجه بالشكر إلى الدكتور ليون بسكنز (Léon Buskens) الأستاذ المحاضر في القانون الإسلامي في جامعة ليدن وذلك لوضعه تحت تصرفي عدداً من الإجازات المنشورة أو النصوص ذات الصلة بالإجازات والتي جاءت من مكتبته الخاصة.

(٢) انظر: ابن الأكفاني، «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» تحقيق ج. ج. ويتكام، (ليدن، ١٩٨٩)، ٤٤٦، رقم ١٩١.

(٣) انظر استخدام تلك السجلات وما حاط بها من شكوك في: البلخي (المتوفى حوالي ٣١٩هـ/٩١٣م)، «كتاب قبول الأخبار ومعرفة الرجال»، مخطوطة القاهرة، دار الكتب المصرية، مصطلح ١٤م، في مواضع مختلفة. سأتّم تحقيق النص للنشر قريباً.

(٤) نشر في حيدر آباد سنة ١٢٢٥-١٣٢٧هـ (١٩٠٧-١٩٠٩م) في ١٢ مجلداً.

(٥) انظر: Ch. Pellat, s.v. "Fahrāsa", *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed (*ET*<sup>2</sup>) (Leiden and London, 1960-), II, 743-4.

(٦) يلاحظ أن هذا النوع من أدب الرحلات قد تطور بشكل خاص في الجزء الغربي من العالم الإسلامي. إذ أن المسافة الطويلة التي تفصل تلك البلدان عن شبه الجزيرة العربية قد جعلت الحج مسألة جديّة تتطلب التفكير وأعمال الذهن.

(٧) هناك العديد من السلاسل المعروفة. وللصوفيين سلاسل خاصة بهم. وقد قمت بتحليل ونشر سلسلة حسن كافي الأقهصاري (المتوفى ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) وهو عالم حنفي بوسني وذلك في

*Manuscripts of the Middle East (MME), IV (1989), 85-114*

(٨) انظر: عبد العزيز الأهواني، «كتب برامج العلماء في الأندلس»، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٥، ٩١-١٢٠، ٢٥٢-٢٧١.

(٩) مخطوطة مونتريال، مكتبة جامعة ماك غيل رقم AC156 وهي عبارة عن دبلوم منفصل حله ونشر محتوياته آدم جاتشك

Adam Gacek, "The Diploma of the Egyptian Calligrapher Ḥasan al-Rushdī", *MME, IV (1989), 44-55.*

هناك مخطوطة أخرى هي مخطوطة ليدن الموجودة في مكتبة الجامعة: MS Leiden, University Library, Or. 11.121. وهي عبارة عن مجلد صغير ربما كان مصدره إستانبول. وهو يحتوي على إجازة في قراءات القرآن حصل عليها أبو بكر لطفى أفندي بن السيد عمر الصنوبي من أستاذه إسماعيل حقي بن علي في محرم سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م.

(١٠) من الممكن أن يكون الجزء كشكل مستقل، قد تطور عن ذلك التقليد القديم، حيث كانت تكتب الإجازة أو السماع على كل جزء (بمعنى الملزمة) من المخطوط. ويشار إلى هذه المخطوطات باسم «الجزءات» أي المقسمة إلى أجزاء، وكان هذا النوع من المخطوطات منتشرًا، ونراه في مخطوطة ليدن Or.122 (مكارم الأخلاق) وOr.12.644 (تاريخ مدينة دمشق). وتحتوي كل ملزمة في هذين المخطوطين على عدد متشابه من الإجازات. ولكل ملزمة صفحة عنوان خاصة بها، تنقسم بها المخطوطة إلى عدد من الأجزاء المتساوية - ولا علاقة لهذا التقسيم بتقسيم النص إلى فصول أو أبواب وما إلى ذلك. وجدير بالذكر أن القرآن الكريم يقسم إلى أجزاء، كما يقسم إلى سور وآيات.

(١١) ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد التعبيرين: إجازات وسماعات في بحثه «إجازات السماع في المخطوطات القديمة» تحت رقم ١٠ و١١.

(١٢) انظر مقالتي:

"Lists of Books in Arabic Manuscripts", *MME, V (1990-1), 121-36,*

ولا سيما القسم الخاص بالاجازة والسيرة الذاتية: 'Ijāzāt and autobibliography' pp. 126-30

حيث ناقشت وثيقة من القرن ٨ هـ/١٤م تتعلق بهذا الموضوع. هناك سيرة ذاتية أخرى بشكل إجازة نسخت في دمشق سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٦م، انظر:

MS Dublin, Chester Beatty Library, no. 3488 (cf. Arberry, *Handlist*, II, plate 63).

(١٣) في كثير من الأحيان يتعدّر التمييز بين النسخة (أو ما يعرف بالمثال أو الصورة) وبين الإجازات الأصلية. (١٤) يقدم ماكيه MacKay تحليلاً شاملاً لإجازة مخطوطة القاهرة الموجودة في دار الكتب المصرية، أدب ١٠٥ (انظر ١ أعلاه) والتي تحتوي على نسخة معاصرة من «المقامات» للحريري (المتوفى ٥١٢هـ/١١٢٢م). ويعتبر هذا التحليل مثالياً من حيث مراجعه وأسلوبه المنهجي. وتوفر مجموعة شهادات فاجدا (انظر ١ أعلاه) ثروة من المعلومات.

R. Y. Ebied & M. J. L. Young, "New Light on the Origin of the Term 'Baccalaureate'", *The Islamic Quarterly*, XVIII (1974), 3-7.

Vajda, *Certificats de lecture*, 65-6. (١٦) انظر:

MacKay, *Certificates of Transmission*, 9. (١٧) انظر:

Topkapı Sarayı Library, Ahmet III A 143. (١٨) مخطوطة إستانبول متحف طوبكابي سراي. وقد نشر فؤاد سزكين صورة طبق الأصل عن المخطوطة: وتبدو هذه الإجازة كما لو كانت نسخة (مثالاً). وقد نشر فؤاد سزكين صورة طبق الأصل عن المخطوطة:

Fuat Sezgin, *Publications of the Institute for the History of Arabic-Islamic Science*, Series C, XII (Frankfurt am Main, 1985).

(صورة الإجازة ص ٤١٨-٤١٩). وحقق النص جون برتون:

John Burton, *Abū 'Ubaid al-Qāsim b. Sallām's K. al-nāsikh wa-l-mansūkh (MS. Istanbul, Topkapı, Ahmet III A 143)*, E. J. W. Gibb Memorial Series, New Series, XXX (Cambridge, 1987).

قدم برتون شهادات القراءة الخاصة بمخطوطة طوبكابي في الصفحات ١٠١-١٠٢ من كتابه كما حلل مضمون هذه الشهادات وحدد هوية معظم الأشخاص الذين ذكرت أسماءهم في الصفحات ٥٢-٥٣ من مقدمته.

(١٩) هذه هي المخطوطة التي أشار إليها صلاح الدين المنجد، «إجازات السماع» (انظر ١ أعلاه) والتاريخ ٢٧٢هـ الذي ذكره غير صحيح لأن المخطوطة تبين بوضوح أن التاريخ هو ٣٩٢هـ.

MS Istanbul, Topkapı Sarayı Library, Ahmet III, No. 618. (٢٠)

وقد نشر فؤاد سزكين صورة طبق الأصل عن المخطوطة:

Fuat Sezgin, Publications of the Institute of the History of Arabic-Islamic Science, Series C, XXXVIII (Frankfurt am Main, 1986).

C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur*, (٢١) انظر:  
I (Weimar, 1898), 280.

Chester Beatty Library, No. 3009 (Arberry, *Handlist*, I, plate 1). (٢٢)

S. A. Bonebakker, "Notes on Some Old Manuscripts of the *Adab*: انظر أيضاً: *al-kātib* of Ibn Qutayba, the *Kitāb aṣ-ṣinā'atayn* of Abū Hilāl al-'Askarī and the *Mathal as-sā'ir* of Ḍiyā' ad-Dīn ibn al-Athīr", *Oriens*, XIII-XIV (1960-1), 159-94.

وتجدر الإشارة أن الملاحظات في مخطوطة دبلن قد حققها Bonebakker في الصفحة ١٦٥.

University Library, Or. 100. (٢٣)

S. M. Stern, "Some Noteworthy Manuscripts of the Poems of: انظر أيضاً: Abu'l-'Alā' al-Ma'arrī'", *Oriens*, VII (1954), 322-47.

(٢٤) نشر الكاتب شهادة القراءة في:

*Seven Specimens of Arabic Manuscripts* (Leiden, 1978), 11.

Stern, "Some Noteworthy Manuscripts", 343-4. (٢٥) انظر:

MS Leiden Or. 1070 (P. Voorhoeve, *Handlist of Arabic Manuscripts in* (٢٦)  
*the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands* [Leiden, 1957], 10).

Voorhoeve, *Handlist*, 62. (٢٧)

(٢٨) كما بين ذلك صلاح الدين المنجد، «إجازات السماع»، ص ٢٣٤-٢٤١.

دراسة المخطوطات الإسلامية  
بين اعتبارات المادة والبشر

رقم النشر: ٢١



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

Al-Furqān Islamic Heritage Foundation  
Eagle House  
High Street  
Wimbledon  
London  
SW19 5EF

# دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر

أعمال المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

ديسمبر ١٩٩٣ / جمادى الآخرة ١٤١٤

إعداد

الدكتور رشيد العناني

أستاذ مشارك اللغة العربية وآدابها  
جامعة إكستر - المملكة المتحدة



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

لندن ١٩٩٧/١٤١٧

British Library Cataloguing-in-Publication Data  
A catalogue record for this book is available from the British Library

ISBN 1 873992 21 1

© Al-Furqān Islamic Heritage Foundation, 1997  
All rights reserved. No part of this book may be reproduced or  
translated in any form, by print, photoprint, microfilm, or any  
other means without written permission from the publisher

*Al-Furqān Foundation Library Cataloguing Data*

DIRĀSAT AL-MAKHTŪTĀT AL-ISLĀMĪYAH BAYNA I'TIBĀRĀT AL-  
MĀDDAH WA-AL-BASHAR (2nd: 1993: London)

Dirāsāt al-makhtūṭāt al-Islāmīyah bayna i'tibārāt al-māddah wa-al-bashar: a'māl al-  
mu'tamar al-thānī li-Mu'assasat al-Furqān lil-Turāth al-Islāmī -

دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر: أعمال المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،  
ديسمبر ١٩٩٣/جمادى الآخرة ١٤١٤ / إعداد رشيد العناني. - لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،  
١٩٩٧/١٤١٧.

227p.: plates; 24cm. - (رقم النشر: ٢١)

Contents:

الجزء الأول: دراسة المخطوطات الإسلامية: اعتبارات المادة: ص: ١٥-١٥٢؛ الجزء الثاني: دراسة المخطوطات الإسلامية: اعتبارات  
البشر: ص: ١٥٣-٢٢٧.

1. Manuscripts, Islamic-Codicology-Congresses 2. al-Furqān Islamic Heritage Foundation  
(London, Great Britain)-Congresses

I. al-'INĀNĪ, Rashīd, ed. II. Title (Transliterated) III. Series

Z6620.3.D5

Accession no.: 11323

ISBN 1 873992 21 1

Published by Al-Furqān Islamic Heritage Foundation, London, UK

Printed by The Alden Press Ltd, Oxford, UK

# المحتويات

٧	تمهيد أحمد زكي يماني
٩	تقديم رشيد العناني
<b>الجزء الأول: الاعتبارات المادية في دراسة المخطوطات</b>	
	مصدران جديان عن صناعة المخطوط:
١٥	حول فنون تركيب المداد إبراهيم شبوح
	استخدام الورق في المخطوطات الإسلامية كما سجلته النصوص الفارسية القديمة
٣٥	إيرج أفشار
	البرديات العربية
٥٧	جفري خان
	خصائص تجليد المخطوطات في العصر المملوكي
٧٧	سهام محمد المهدي
	استخدام الرق في المخطوطات الإسلامية: ملاحظات تمهيدية
٩٣	فرانسوا ديروش

**الجزء الثاني: الاعتبارات البشرية في دراسة المخطوط**

طريقة التأليف عند القدماء

من خلال مسودة المقرئ لكتاب الخطط

١٥٣

أيمن فؤاد سيد

العنصر البشري بين النص والقارئ:

الإجازة في المخطوطات العربية

١٦٣

جان جاست ويتكام

أهمية صفحة العنوان (الظهيرية) في توصيف المخطوطات

١٧٩

رمضان ششن

كتب النماذج والوثائق القانونية:

تطور مخطوطات العدل في المغرب

١٩٧

ليون بسكنز

ظاهرة المخطوطات مجهولة المؤلف:

المخطوطات التاريخية والجغرافية مثالا

٢٠٧

محمد بن شريفة